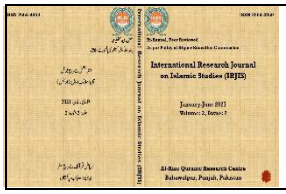

International Research Journal on Islamic Studies (IRJIS)
ISSN 2664-4959 (Print), ISSN 2710-3749 (Online)
Journal Home Page: https://www.islamicjournals.com
E-Mail: tirjis@gmail.com / info@islamicjournals.com
Published by: "Al-Riaz Quranic Research Centre" Bahawalpur

مباحث العدول والالتفات وأثرها في نظم الكلام من خلال كتاب مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علی القاری (دراسة تحليلية بلاغية)

The Topics of the Art of " Al Aduul & Al Iltifāt" in Prophetic Rhetoric and its impact on speech and meanings, as treated in Mirqāt-al-Mafāteeh (A commentary on Mishkāāt-al-Masābeeh by Mulla Alī ibn Sultān ibn Muhammad Al Qarī): A Rhetorical Analytical Study)

1. Muhammad Amin,
Ph.D. Scholar, Department of Literature, Faculty of Arabic,
International Islamic University, Islamabad, Pakistan
Email: m.ameen41405@gmail.com
ORCID ID: https://orcid.org/0000-0002-7393-5662

2. Prof. Dr. Fazlullah,
Dean Faculty of Arabic,
International Islamic University Islamabad, Pakistan
Email: drfazlullah@iiu.edu.pk
ORCID ID: https://orcid.org/0009-0008-3539-7024

To cite this article: Muhammad Amin and Prof. Dr. Fazlullah. 2023. "مباحث العدول والالتفات وأثرها في نظم الكلام من خلال كتاب مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علی القاری (دراسة تحليلية بلاغية): The Topics of the Art of " Al Aduul & Al Iltifāt" in Prophetic Rhetoric and its impact on speech and meanings, as treated in Mirqāt-al-Mafāteeh (A commentary on Mishkāāt-al-Masābeeh by Mulla Alī ibn Sultān ibn Muhammad Al Qarī): A Rhetorical Analytical Study)". International Research Journal on Islamic Studies (IRJIS) 5 (Issue 1), 01-12.

Journal	International Research Journal on Islamic Studies Vol. No. 5 || January - June 2023 || P. 01-12
Publisher	Al-Riaz Quranic Research Centre, Bahawalpur
URL:	https://www.islamicjournals.com/arabic-5-1-1/
DOI:	https://doi.org/10.54262/irjis.05.01.a1
Journal Homepage	www.islamicjournals.com & www.islamicjournals.com/ojs
Published Online:	30 June 2023
License:	This work is licensed under an Attribution-ShareAlike 4.0 International (CC BY-SA 4.0)

Abstract:

This article is about Prophetic Rhetoric. Particularly, the topics of the Art of "Iltifāt" (الالتفات) in the prophetic sayings, as treated in Mirqāt-al-Mafāteeh (A commentary on Mishkāāt-al-Masābeeh by Mulla Ali ibn (Sultān) Muhammad Al Qarī,). It means shifting from one style to another style. In light of this, this article consists of an introduction, an explanation of prophetic rhetoric with examples and a conclusion. Particularly, it explained

the meaning of “Iltifāt” and declared the basic concept of Prophetic "Iltifāt", and elaborated the main kind of it with attractable examples in detail to convey the message properly to the listener/reader and its impacts on the speech and meanings, according the Prophetic deal with reader/listener as they are differing from one to other, as well as, it examined the style of semantics in Prophetic "Iltifāt".

Keywords: Rhetoric, Arabic rhetoric, Prophetic Rhetoric, Iltifāt, Prophetic Iltifāt.

فاتحة ومهاد:

إن الله - تبارك وتعالى - قد أرسل خاتم الرسل - عليه التحية والتسليم- إلى الناس كافة ليقوم بالدعوة إلى ربه الرحيم، كقوله تبارك وتعالى، وهذه الدعوة تتطلب قدرة بلاغية؛ لأن الكلام الفصيح البليغ يصل إلى قلوب الناس ويؤثر على عقولهم؛ ويحثّهم على التفكير والتدبر في آيات الله تعالى، فيتحقق بها هدف منشود على الصورة التي يرتضيها الله – سبحانه وتعالى – فيما أرسله؛ ولذا قال الله – تبارك وتعالى – " **وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَّهُمْ فِيْ أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيْغاً** "[1]. ولا شك فيه أن رسولنا الكريم – عليه الصلاة والسلام- كان أفصح العرب جميعاً، ووهبه الله – جلّ وعلا – سليقة البيان وتصوير المعاني بأروع أساليب بالقدرة الفائقة على الإبداع لإيصال المعاني العظيمة إلى السامع/ القاري، فكانت بلاغة سيد الأنبياء – صلى الله عليه وسلم – وفصاحته محل الإعجاب ومضرب المثل لكل مَنْ سمع كلامه البليغ الفصيح؛ ولأن الصادق الأمين – عليه الصوات والتسليمات – قد بُعثَ بجوامع الكلم.

أولاً: نبذة عن حياة الإمام الملا علي القاري وكتابه: (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)

اسمه على بن سلطان محمد (اشتُهر بـ الملا على القاري)، وكنيته أبو الحسن، ولُقّب باسم القاري؛ لأنه كانت له مهارة في علم القراءات القرآنية. وُلد الشيخ القاري سنة 930هـ في بلدة هراة [2] وهى من أعظم مدن [3] خراسان[4]. نشأ الإمام علي القاري في بلدته هراة حيث قد حفظ القرآن الكريم، وحسّن تجويده، وتعلّم قراءاته السبعة على الشيخ معين الدين ابن الحافظ زين الهروي[5]، ثم هاجر إلى مكة المكرمة، ولازم العلماء الكبار من علماء بيت الله الحرام سنوات كثيرة بالتعلم حتى صار عالماً نابغ عصره، وكان يقصد إليه من كل فجٍّ في طلب علوم الإسلامية وفنونها[6]. وكان الشيخ ملا على القاري يشغّل معظم أوقاته في التأليف والتدريس حتي يعدّ نبراس المحققين في القرن الحادي عشر، وتبوأ مكانة رفيعة في عصره بغزارة علمه في شتى العلوم الإسلامية وفنونها، بأنه كان متكلما، ومقرئاً، ومفسّراً، ومحدّثاً، وفقيهاً، وأصولياً، وبلاغياً ولغوياً ونحوياً. وله مؤلفات كثيرة في موضوعات مختلفة أكثر من مائتين وستين كتاباً، وهي خير دليل على كفاءته العلمية في العلوم الدينية ومهاراته في فنونها، وكما أومأ إليه عبد الحي اللكهنوي بقوله: كلّ مؤلفات الشيخ الملا على

---

[1] Al Nisā, 63.

[2] Al Uṣāmī, Abdu l Mālik, Sumṭ al Nujoom al Awāli, Publisher: Dār Ul Kutub al Ilmia - Beīrūt, 1998 AD, Vol.4, P.393.

[3] It is situated in the currently “Afghanistan”.

[4] Al Muhyī, Muhammad Amin bin Fazlullah, Khulaṣat Ul Asr, and Publisher: Al Maktabah al Waḥabiaḥ, 1284 AH, Vol.3, P. 185.

[5] Al Baghdadī, Ismāel Pāshā, Ḥadyat Ul Ārifīn, Publisher: Muassat Ul Al Tarīkh al Islamī, Vol.1, P.746.

[6] Visit Al Akri, Abd Ul Hayī bin Ahmad, Shazrāt Ul Zahab, and Publisher: Dar Ibn Kasir, 2006 AD, Vol.8, P.370.

القاري علي نفيسة في بابها وفريدة ومفيدة لكل[7]. وتوفى الشيخ القاري في شوال سنة 1014هـ في مكة المكرمة، ودُفن في المعلاة.[8]

من المعلوم أن لكتابه: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح أهمية كبرى في مختلف الأوساط العلمية عند الباحثين حيث يستلم هذا ضمن مؤلفات الكتب القديمة النادرة؛ ولأنه يُعد من أهم المؤلفات التي تناول فيه المصنف المباحث العقدية وأصولها، والحديث وأصوله، والفقهية وأصولها، والفنون العربية كالبلاغة والنحو والصرف، وغيرها، كما ضرب المؤلف بنفسه في مقدمة الكتاب هذا عن أسباب التأليف بقوله: فلمّا حصلتُ على النسخة المذكورة أي مشكاة المصابيح، وصححتها من النسخة المسطورة قبلها، ورأيت أنْ أوضّحه تحت شرح لطيف رائع، بأن يشرح مفرداته مع بيانه، ويبحث عن معانيْه وروايتها[9]. عدد الأحاديث في الكتاب 6294[10]، **وهذا المؤلَّفُ يشتمل على أحد عشر مجلداً.**

ثانياً: التعريف بالالتفات و أثره في نظم الكلام

للالتفات مباحث كثيرة في باب علم المعاني ولها أثر كبير في نظم الكلام وتراكيبه لإلقاء المعنى إلى المُخاطَب؛ لأن وروده في الكلام إنما يكون تطريباً للمُخاطَب بنقله من أسلوب إلى أسلوب آخر وإيقاظاً له عن الغفلة إلى ما يقوله؛ فإن السامع ربما يملّ من أسلوب، فينتقل به المتكلم إلى أسلوب آخر [11]. في المعجم أن الالتفات هو العدول والانصراف من أسلوب إلى أسلوب آخر مخالفاً له [12]، هذا أحسن من التعريف أن: الالتفات والعدول من الغَيْبة إلى الخطاب أو على العكس؛ لأن التعريف الأول يعم مباحث الالتفاتات كلها، وأما التعريف الثاني إنما هو يقتصر على الغيبة والخطاب ولا غير. ومن الملاحظة هذا المقال يتحدث عن العدول والالتفات في الأحاديث النبوية المباركة، كما تحدّث الشيخ القاري عن هذا العدول وأثره في نظم الكلام أكثر من مائة مرات. ومباحثه متنوعة نتحدث عنها بالإيجاز ونقسّمها في البداية إلى أنواع تالية:

النوع الأول: العدول و أثره في نظم الكلام

من الواضح أن لكلّ فعلٍ من الماضي والمضارع له وظيفة خاصة، ولا يكون عن العدول عنها إلا لغرض بلاغي، هناك نصوص كثيرة لإيضاح استخدام الماضي موضع المضارع مُطلقاً، ولكن الأغراض مختلفة منها:

تحدّث الشيخ القاري عن وظيفة الفعل الماضي والمضارع، كما يقول مبيناً معنى الحديث المبارك:" **حُبّبَ إليّ الطّيب والنّساء، وجُعلت قرّة عَيْني في الصلاةِ** "[13]. عند المؤلف قد ورد الفعل المجهول (جُعِلتْ) قبل الجملة الاسمية: (قرة عيني في الصلاة)، ثم أنكر على الطيبي كأن عنده غير موجود هذا الفعل المجهول كما ورد في رواية أخرى، ألفاظها (أو غفل عنه)، ثم يقول: إن هذه الجملة اسمية قد عُطفت على جملة فعلية قبلها لغرض الدلالة على الدوام والثبات في الثانية، والتجدد في الأولى [14]. قال الشيخ القاري: وفيه بحث؛ إذ القول بالتجدد والتحدّث لا يكون إلا في فعل مضارع، وأما الفعل الماضي هو مختص للتقرير معنى الثبات والدوام، حتى إذا عُبر الفعل المضارع بالفعل الماضي بأن يبين العلل؛ بأنه للإيماء إلى تحقق وقوعه كأنه قد وقع، وورد بالفعل المجهول في الحديث الشريف دلالة على أن ذلك كله لم يحدث من

---

[7] Al Lukhnavi, Al Ḥindī, Al Anṣāri, Abu Ul Hasanāt, Allama, Abd Ul Hayī, Al Taliqe Al Mumajjid, Publisher: Dār Ul Qalam, Damascus, 2005 AD, Vol.1, P.105.

[8] Visit Al Shaukanī, Muhammad bin Ali, Al Badr Ul Talīī, and Publisher: Dar Ul Kutub Al Islāmia, Vol.1, and P.424.

[9] Al Ḥaravī, Al Qārī, Al Mullā, Mirqāt Ul Mafātīh, Publisher: Dār Ul Fikr, Lubnān, 2002 AD, Vol.1, P.41.

[10] Visit Al Qāsmī, Yamin, Miftāh Ul Talīqe, Publisher: Al Maktabah Al Fakhria – India, P.197.

[11] Visit Dr. Abu Musā, Muhammad Muhammad, Al Balāghaḥ Al Qurāniaḥ in Tafsīr Al Zamakhshari, Publisher: Al Maktabaḥ Ul Waḥabaḥ, 1998 AD, Vol.1, P. 443.

[12] Al Husainī, Al Alvī, Yahyā bin Humzā bin Ibrāḥīm, Al Ṭirāz - Asrār Ul Bālaghaḥ, Publisher: Al Maktabah Al Unṣariyyaḥ, 1423 AH, Vol.2, P.71.

[13] Al Qārī, Al Mullā, Alī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Vol. 8, P. 3294.

[14] Visit: Al Ṭeebī, Sharaf Ul Deen Al Husain bin Abdullāh, Al Kāāshif, and Publisher: Maktabaḥ Nazāār Muṣtafā Al Bāāz - Al Riādh, 1997 AD, Vol.10, and P. 3320.

طبعه وجبلته، وكأنه مجبور على الود رحمة للعباد في الأعمال كلها بخلاف الصلاة، فإنها محبوبة لذاتها، ومنه قول سيد الأنبياء – صلى الله عليه وسلم – (أرِحْنا يا بلال) أي اشغلنا عما سوى الصلاة؛ لأن في غيرها كَدَح وتعب، وإنما (السكينة) والاسترواح ليست إلا في الصلاة، فأرِحْنا بنَدائِك (الرائع) يا بلال[15].

في بعض المواضع أنّ الفعل الماضي قد يقوم مقام المستقبل على خلاف الأصل؛ لأن وضعه للماضي، ولايأتي هذا إلا للدلالة على تحقق وقوع الفعل كما ورد بعض الأفعال الماضية بمعنى الاستقبال في القرآن الكريم بنزول تحقق وقوعها منزلة الوقوع، ولا يتحقق هذا إلا بالأسباب الداعية إلى استخدام الفعل فيما إذا كان مدلول الأفعال من الأمور المهددة الهائلة أو المتوعدة فتعدل فيها صيغة الأفعال المستقبلية إلى الأفعال الماضية تحقيقاً في الوقوع كقول رب العالمين:" **وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرضِ**"[16]، ففي الآية تعبير عن المستقبل بصيغة الماضي(ففزع) بعد فعل مضارع (ينفخ) لنكتة وهي الإشعار بتحقق وقوع الفزع وتقريره بأنه كائن وثابت لا محالة؛ لأن الأفعال الماضية تدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا ومحكماً به من حيث التحقق؛ لأن العدول إلى الماضي من المستقبل دال على مبالغة في الاستقرار والثبوت وتحقق الوقوع[17].

قد يكون العدول من المضارع إلى الماضي للمبالغة في تحقق الوقوع كما جاء به ابن الأثير بأنه يقول:إن الأفعال الماضية إذا أخبر بها عن الأفعال المستقبلية (أي الأفعال المضارعة) التي لم توجد بعد (كان) ذلك يكون أوكد في تحقيق الفعل وإيجاده، وأبلغ في أداء المعنى المراد [18]. كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:"**رأى عيسى ابن مريم رجلاً يَسْرِق، فقال له عيسى: سَرقْتَ؟ قال: كَلّا**"[19]. استخدم رسولنا الأمين – عليه التحية والتسليم – الفعل الماضي بصيغة المخاطب (سَرقْتَ) موضع الفعل المضارع (تَسْرِقُ) للدلالة على تحقق الوقوع[20]، كما يقول الشيخ القاري قوله: سرقت، أي أَسَرَقْتَ؟، فعل ماضي، والظاهر (أتسْرِق؟) فعل مضارع، ولعل العدول عن المضارع (أتسرق) إلى الماضي (سرقت) إيماء إلى تحقق الوقوع.[21]

وقد يكون التعبير عن المضارع بالفعل الماضي المكرر لزيادة المبالغة في المعنى، كما قال الصادق المصدوق – عليه الصوات والتسليمات -:"**زادَ ما زادَ**"[22]. وقوله "زاد ما زاد" جملة استأنافية على سبيل التأكيد والتقرير، والمعنى: أن السحر يزيد ازدياداً متوافراً كما يزيد اقتباس شعبة من السحر، فوضع رسول عليه - الصلاة والسلام - الفعل الماضي في الموضعَيْن (زاد ما زاد) موضع الفعل المضارع لزيادة المعنى في تحقق الوقوع.

في بعض الأحيان تدخل كلمة "حتى" على الفعل الماضي موضع "إلى أن" للمبالغة والزيادة في المعنى كما في رواية سيدنا عمر الفاروق - رضي الله تعالى عنه -:"**أخبرنا (رسول الله صلى الله عليه وسلم) عن بدء الخلقِ حتى دخل أهل الجنة** [23] **منازلهم**[24]. استخدم نبي الله الكريم – صلى الله عليه وسلم - الفعل الماضي (دخل) المتصل بـ(حتى) موضع الفعل المضارع "إلى أن يدخل" لزيادة المبالغة في التحقيق المستفاد من قول الصادق الأمين في الوقوع. وكذلك قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم -:"**كلُّ سَيئةٍ يعملها تُكتب بِمثْلها حتى لقي الله**"[25]. وقوله (حتى لقي الله) قد جاء خلاف الأصل

---

15 Visit: Al Qārī, Al Mullā, Alī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Vol.8, P.3294.
16 Al Namal, 87.
17 Visit Al Zamakhsharī, Jārullāh, Abul Qāsim, Mahmood bin Umr, Al Kāshāf, and Publisher: Dār Ul Kitāb al Arabī, - Beīrūt, 3, Vol. 3, P.386.
18 Visit: Al Jazarī, Al Shaibanī, Abul Fatah, Ziā Ul Deen, Naṣrullāḥ bin Muhammad, (Famous: Ibn Ul Asīr), Al Musāl Al Sāāer, Publisher: Al Maktabaḥ Al Asriaḥ – Beīrūt, 1420 AH, Vol.2, P.15.
19 Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Vol.8, P. 1360.
20 Visit: Al Husaini, Al Tiraz, Vol.2, P.71.
21 Visit: Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Vol.8, P. 3160.
22 Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 4598, Vol.7, P. 2907.
23 Rooted from "النسيان" To forget.
24 Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 5699, Vol.9, P. 3634.
25 Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 44, Vol.1, P. 118.

والوضع وهو (إلى أن يلقى الله) يوم القيامة، فيجازيه عن أعمالهم الحسنة ويعفو عن ذنوبهم أو يعذبهم، فالعدول قد جاء في الحديث الشريف عن المضارع إلى الفعل الماضي لتحقق الوقوع، كقول الرب اللرحيم:" **أَتَى أَمْرُ الله** "[26]، ولا يبتعد أن تكون كلمة (حتى) قبل الفعل الماضي (لقي) متعلقاً بالجملتين السابقتين، واللقى يكون بمعنى الموت.

أحياناً يكون العدول عن المستقبل (القريب) إلى الفعل الماضي (البعيد) مستدلة على تثبت الوقوع وتحققه، كما دعا سيد الرسل – عليه الصلاة والسلام – على المشركين قائلا:"**مَلأ اللهُ بيوتَهم وقبورَهم ناراً**"[27]. هذا الدعاء على المشركين بعذاب الدارَيْن: الدنيا والآخرة، فهو من باب المجاز دون الجمع بين الحقيقة والمجاز[28]. ولا يخفى أن الدعاء على العدوّ من مشركيْ مكة المكرمة من سيد العرب والعجم -صلى الله عليه وسلم- يجلب العذاب عليهم بالتحقق في الوقوع حتمياً، فهو مستقبل أقرب لاسيماً لمن مات منهم في المعركة مشركاً لا محالة، وبخاصة أنّ المشركين كانوا يرون أن دعاء الرسول – عليه الصلوات والتسليمات – مستجاب حقاً في كل حال؛ فكانوا يخافونه مع أنهم يخالفونه؛ فكلّما قرب زمن الدعاء عليهم من رسول الله عليه التحية والتسليم؛ زاد فزعهم وخوفهم كما يقول الشيخ القاري إن الجملة: ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، دعاء على المشركين، جاء به خاتم الأنبياء -عليه التحيات والتسليمات- في صورة الخبر تأكيداً وإيماء بأنه من الدعوات المستجابة سريعاً، وعبّره بالماضي ثقةً وتحققاً بالاستجابة، فكأنّه أجيب السؤال فأخبر عن وجود الإجابة ووقوعها، ولذا قال علماء البلاغة إن الدعاء: (غفر اللهُ لفلانٍ) أبلغ من الدعاء: (اللهم اغفر له)[29]. وهو في هذا يشبه حتمية جهنم للكفار والمشركين؛ لذا كان وجه التشبيه اشتغالهم بالنار مستوجب لاشتغالهم عن جميع المحبوبات فكأنّ خاتم الأنبياء الصادق - صلى الله عليه وسلم- قال: شغلهم الله سبحانه عنها كما شغلونا عن صلاة العصر.

وكذلك يكون العدول عن الماضي (القريب) إلى المستقبل (القريب) كقول النبي الأمي "**مَنْ ترك صلاةَ العصر فقد حَبِط عَمَلُه** "[30]، وضّح الشيخ القاري معنى القول (حبط عمله) بطُل كمال عمل يومه ذلك فتعبير النبي الأمين بحُبوط الأعمال بترك صلاة العصر بصيغة الماضي (حبط) دون المضارع (يحبط)، وهو البطلان للتهديد والترهيب، وليس ذلك من إبطال ما سبق من أعماله بل يحمل الحبوط على نقصان أعماله في يومه، فيتقارب الزمنان المستقبل (القريب) والماضي (القريب) لتحقيق العقوبة والعذاب في الوقوع وما يترتب عليها من فزع وألم.

يكون العدول عن الماضي إلى المضارع عند الشيخ القاري للدلالة على الاستمرار والدوام، أو لحكاية الحال الماضية كقوله تعالى:"**وَإِنِّيْ أُعِيْذُهَا بِكَ**"[31]، بمعنى أعذْتُها. وكقول أفصح العرب – عليه الصلاة والسلام -:" **أراني في المنام أتسوّك بسواك** "[32]، يقول الشيخ القاري مبيناً معنى (أراني) وقع الفعل المضارع في الأصل وفتح الهمزة في البداية تدل على أن لفظة المتكلم المفرد أي (أرى) من فعل رأى. ووهو في الأصل (رأيتُ) أي فعل ماضي (صيغة المتكلم المفرد)، وعدل عن الماضي إلى الفعل المضارع لبيان الحال الماضي. وفي بعض النسخ ورد الفعل المضارع من (ظن) الهمزة مضمومة أي (أظن) بمعنى الماضي، ويكون التعبير: (ظننت)؛ لأن الرؤيا المنامية يكون التعبير عنها بالظن، ولكن هذا لا يتحقق إلا عن بعض الناس؛ إذ رؤيا الأنبياء والرسل حق ومحقق البتة، فالصواب أن يكون هذا محمولا على أنه فعل مجهول من باب الإراءة بمعنى الإخبار والإعلام[33]. هذا هو الذي ما جاء به الشيخ القاري بأن استخدام الفعل المضارع موضع الفعل الماضي يفيد التجدد والاستمرار، وأنكر على رأي رالبعض بأن الاتصاف بالمضارع لا يكون إلا تقريرا لفعل وتثبيته

---

[26] Al Nahal 1.
[27] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 633, Vol.2, P.544.
[28] Al Hanfī, Al Bukhārī, Al Diḥlavī, Abd Ul Haq bin Saīf Ul Deen, Lamāāt Ul Tanqeeh, and Publisher: Dar Ul Noor – Damascus, 2014 AD, Vol.2, P.388.
[29] Visit: Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Vol.2, P. 544.
[30] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No., Vol.2, p.529.
[31] Al Imrān 36.
[32] Āl Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No., Vol.1, P. 400.
[33] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Vol.1, P. 400.

واستحضارا له في ذهن السامع استعجاباً منه، كما في الحديث الشريف:"**ورجل ينادي بالصلوات الخمس كل يوم وليلة** "[34]. فيقول المؤلف: والظاهر أن إتيان الفعل المضارع ليفيد الاستمرار والتجدد[35]، فبذلك خصّصه الصادق الأمين بالصلوات الخمس صيغة الجمع، لإيماء إلى منزلته المميزة عن منزلة الإمام كما يشير إليه تأخيره عنه، ولا يخالف تقدم العبد؛ لأن مقام التعجب يكون متقاضياً لهذا، ولذا ورد الاهتمام والاختصاص به في مكان آخر بأن له أجرَين، فلا يبتعد من هذه المنزلة المتخصصة أكثر ثواباً من الإمام والمؤذن.[36]

أحياناً يكون العدول في أساليب الشرط عن الفعل الماضي إلى الفعل المضارع لغرض زيادة المبالغة في المعنى والاستمرار فيه، كقول سيد النبي الصادق الأمين:"**ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموها ولو حبْواً** [37] **على الرُّكب**"[38]. يقول الشيخ القاري: (ولو تعلمون) فعل مضارع، والأصل (ولو علم)، فالعدول عن الماضي إلى المضارع للمبالغة والإشعار بالاستمرار والتجدد؛ ذُكرت في الحديث الشريف أولاً: فضيلة أداء الصلاة بالجماعة، ثانياً: تنزّل من هذا إلى بيان فضيلة الصف الأول خلف الإمام، ثالثاً: بيّن فضيلة كثرة الجماعة[39]، هذا من الأساليب الرائعة في نظم الكلام البلاغي؛ فلذا قيل: إن الالتفات والعدول من أجل علوم البلاغة بل هو أمير جنودها[40]. وكذلك الحديث المبارك:"**فلو نَعْلم أنّك رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) ما مَنَعْنَاك**" هذا الكلام بمنزلة التعليل لقوله:(لا نقر بها). هناك سؤال وهو أن الكلمة (لو) تقتضي أن تكون متصلة بالفعل الماضي لا المضارع، فما فائدة العدول إلى الفعل المضارع في الحديث المبارك؟ وجوابه أن هذا العدول للدلالة على الدوام والاستمرار والمعنى قد استمر عدم العلم بنا برسالتك في سائر الأزمنة من الماضية، والمضارعية كذلك، كقول رب العالمين:"**لَوْ يُطِيْعُكُمْ فِيْ كَثِيْرٍ مِنَ الأَمْرِ لعنِتُّمْ**"[41].

أحياناً يكون العدول عن الماضي إلى المضارع لاستحضار الحال مطلقاً، كما بيّن سيدنا حذيفة – رضي الله تعالى عنه – أحوال القيام مع الرسول الكريم، ويقول:"**قد نسيته (كلام الرسول)، فأراه فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عَرَفه**"[42]. في النص الشريف ورد الفعلان المضارعان (فأراه فأذكره) والعدول فيه من الماضي إلى الفعل المضارع لاستحضار حكاية الحال وتقريره في الذهن.

وكذلك بعض الأحيان يكون العدول والانصراف عن الفعل الماضي إلى الفعل المضارع لاستحضار الحال الغريبة، كما في رواية سيدنا ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – حكى حكاية أنه رأى النبي الرحيم – عليه الصلاة والتسليم – فيما ينظر النائم ذات يوم وقت نصف النهار، بأنه أغبر وأشعث، وبيده قارورة، وفيها دم، فسأل الرسول بقوله: بأبي أنت وأمي، ما هذا؟ فأجابه رسولنا الكريم:"**هذا دم الحسين وأصحابه، ولم أزل ألتقطه منذ اليوم، فأحصي ذلك الوقت؛ فأجد قتل ذلك الوقت** "[43]. فوردت في النص صيغة الفعل المضارع (فأجد) أي فوجدته، فالعدول عن الماضي إلى المضارع لاستحضار الحال الغريبة، فحكى سيدنا عبد الله ابن عباس (رضي الله تعالى عنه) حكاية غريبة عن النبي الشفيق -عليه التحيات والتسليمات- واستخدم الفعل المضارع موضع الفعل الماضي لهذا الغرض البديع.

---

[34] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh Hadith No. 666, Vol.2, P. 566.
[35] Visit: Atiq, Abd Ul Aziz, Ilm Ul Māāni (علم المعاني), and Publisher: Dar Al Nahzah Al Arabiā, Beirut, 2009 AD, Vol. 1, and P. 49.
[36] Visit: Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Vol.2, P.339.
[37] To walk by the hands and knees.
[38] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 1066, Vol.3, P. 838.
[39] Visit: Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Vol.3, P.838.
[40] Visit: Al Husani, Al Tiraz, Vol. 2, P. 71.
[41] Al Ḥūjūrāāt 7.
[42] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 5379, Vol.8, P. 3377.
[43] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No., 6181, Vol.9, P.3987.

أحياناً يأتي العدول عن الماضي إلى المضارع لاستحضار الحالة لتقررها وإثباتها في ذهن المخاطَب، كما في رواية سيدنا زيد بن خالد الجهني – عليه رضوان الله تعالى – أنه قال:" **لأرمُقَنَّ**[44] **صلاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الليلة، فصلى ركعتين خفيفتين** "[45]. جاء في النص المبارك الفعل المضارع (لأرمُقَنّ) فيه عدول عن الماضي (رمقتُ) إلى المضارع المؤكد استحضاراً لتلك الحالة السابقة لإثباتها في ذهن المخاطَب ولتقررها في ذهن السامع أبلغ تقرير وإثبات، ويشهد بذلك عنايته وأسلوبه بالمؤكدات المتعددة لزيادة المعنى والمبالغة فيها. ويمكن أن يكون هذا القول من قبيل العمل والعلم، ولكن جاء العلامة ابن حجر برأي مختلف، وهو يقول: والظاهر أنه قال ذلك لأصحابه (الكرام) نهاراً. وحينئذ يكون المضارع على حاله، ولكن هذا رد على ابن حجر بل يقول هذا في غاية البُعد، ولا يصح هذا إلا على تقدير التقديرات الكثيرة كما لا يخفى على أحد، ومقتضى الحال يخالفه من حيث المطابقة.

في بعض الأحيان يكون الالتفات عن صيغة ماضية إلى صيغة مضارعة لحسن المآل واستحضارا للحال، كقوله – صلى الله عليه وسلم -:"**مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، فإذا لقي العدو قاتل حتى يقتل**"[46]. قال الشيخ القاري أن في قول الصادق الأمين (حتى يقتل) فيه العدول عن اللفظة الماضية إلى الفعل المضارع لغرض استحضار الحال وبيان حسن المآل، والأصل يكون (حتى قُتل).

والعدول أحياناً يكون عن الفعل الماضي (القريب) إلى المستقبل (القريب) كما في الحديث الشريف:"**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهِموا عليه لاستهَموا**"[47]. يقول الشيخ القاري ورد الفعل المضارع في الحديث الشريف ودخلت عليها كلمة (لو) أي (لو يعلم)، والمعنى (لو علموا) ففي الفعل المضارع إيماء إلى دوام العلم واستمراره. يظهر من هذا أنه استخدم للماضي القريب إلى مستقبل بقدر كونه قريبا، وهو حكاية عن طلب الصلاة والصف الأول والتهجير إليها، فكان المقتضى (لو علم الناس) بدليل (لو) التي تدل على امتناع حدوث فعل في الزمن الماضي مرتبط بامتناع حدوث أمر ماضٍ آخر، فيجد المخاطَب صيغة حاثة له مع انقضاء (لو كان) فينتابه التحسر دون قوة في الحدث على الفعل المتضمن في ماضي (لو)، وهو (يعلم) فيأتيه مطابقاً مقتضى الحال (لو يعلم)؛ لأن (لو) تخلص الفعل إلى الماضي وإن كان ما بعدها مضارعاً، فالأمر كله حدثان: ماض، ومستقبل، لكن كلاهما في دائرة واحدة أعم تضمنها هي الماضي، فالثاني غير حاصل بعد نظرا إلى الأول، فالأمر قريب، لأن علم ما في الصلاة والتهجير والصف الأول قد يكفيه علم قبله بقليل حتى يدفعه إلى فعل تلك الحسنات؛ ليختار المتلقي طلب علم ما فيه، ولا سيما أن سيد المعلمين -عليه التحيات والتسليمات-، لإزالة ضده الجهل المستمر مع الإنسان فمريد العلم في طلب له مستمر؛ لذا وضعت صيغة المضارع مكان ما تستدعيه كلمة (لو) من الصيغة الماضية لتفيد استمرار العلم وتثبيته في الذهن، وأنه مما يناسب أن يكون على بال منه، وأُتيت بـ(ثم) المؤذنة بتراخي رتبة الاستباق عن العلم.

أحياناً يقع الالتفات عن المستقبل (الأبعد) إلى المستقبل (القريب)، في الأصل هذان الزمنان يشتركان في أنهما جزءان من زمن واحد وهو المستقبل؛ لكن الأول ضارب في عمق هذا الامتداد، والآخر يقرب من الزمن الحال مع احتفاظه بفاصل واضح بينهما؛ ليعظم الانفعال في نفس المخاطَب؛ لأن هذا التقرب المفاجئ؛ يكون مفيدا للرعب إن كان المقرب مخيفاً، وبخاصة لكل عالج في نفسه تكون عوائد صلة الرحم؛ كما نجد هذا الأسلوب في قول الرسول النذير –عليه الصلاة والسلام – " **لا يدخل الجنة قاطع** "[48]. تبدأ هذه الجملة بنفي (لا) في موضوع تهديد وترهيب، يكاد يبدأ من الحال نفسها؛ لكنه ينسحب إلى وقت قريب منه؛ لتكون العقوبة على الذنوب التي لا تقع إلا في الآخرة، فيأتي (لن يدخل) ليمد هذا المعنى في هذا الأمل؛ لتتخيل النفس في الأمر قليلا من الجرأة متأنية من دواخل النفس الأمارة بالسوء التي تحب

---

[44] To look and think.
[45] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 1197, Vol.3, P. 906.
[46] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 3859, Vol.6, P.2496.
[47] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 628, Vol.2, P. 542.
[48] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 4922, Vol.7, P. 3086.

المتعة الآنية والفانية؛ فجاء الأسلوب (لا يدخل) ليمتد صورة العقاب نفي دخول الجنة المهدد بها المخاطَب المذنب من زمن المستقبل القريب وهو ما يلي زمن التكلم إلى أن يرث الله تبارك وتعالى الأرض ومنْ عليها (المستقبل الأبعد) فيرسم ويثبت هذا المعنى في نفس السامع التضاد بين استمرار التهديد والترهيب بالعذاب وبين استمرار إرادة النفس الأمارة لارتكاب هذه الذنوب؛ فيحدث منه دافع مستمر يمنعه من تلك؛ متصلاً بالتضاد مع الدلالة (قطع) على الثبات، وإبانة الشيء عن الشيء، كأنه داع إلى القطع واليقين في كل حين بثبات الجملة الاسمية في (قاطع)، متضافرا مع حذف مفعوله ليدل على التعميم.

النوع الثاني: الالتفات و أثره في نظم الكلام

تحدّث الشيخ الملا علي القاري عن الالتفات الضميري أكثر من خمسة وستين مرة: من الغَيْبَة إلى الخطاب أو التكلم خمسة وثلاثين مرة، ومن الخطاب إلى الغيبة أو التكلم تسعة عشرة مرة، ومن التكلم إلى الخطاب أو الغيبة أحد عشرة مرة، تناولت بعض الأمثلة لإيضاح مباحث الالتفات وأثرها في نظم الكلام، منها:

1. الالتفات عن (التكلم) إلى (الغيبة)

أحياناً يكون الالتفات من التكلم إلى الغيبة لاستحضار الحال الماضية كما في الحديث الشريف عن السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها – أخبرت بأنها قد فقدت نبي الله الكريم (عليه التحية والتسلم) ليلة، فخرجت عن البيت فوجدته (عليه الصلاة والسلام) بالبقيع، فقال (رسول الله – عليه التحيات والتسليمات):**"أكنت تخافين أن يحيف**[49] **الله عليك ورسوله"؟ قلت: يا رسول الله! "إني ظننت أنك أتيت بعض نسائك"**[50]. عدل رسول الله – عليه التحية والتسليم - عن "أحيف أنا" إلى "يحيف الله عليه ورسوله"، ويقول المؤلف: وكان من الظاهر أن يقال (أخفتِ) همزة الاستفهام قبل الفعل الماضي (صيغة المخاطب للتأنيث) أو (كنت خفتِ)، ولكن استخدم سيد الكون (عليه التحيات والتسليمات) الالتفات عن الفعل الماضي إلى الفعل المضارع لغرض الاستحضار عن الحالة الماضية، فكأنه قال للسيدة عائشة (رضي الله تبارك عنها): (أظننتِ ظناً) اسخدم الفعل الماضي (صيغة التخاطب) مع المفعول المطلق بالانسحاب إلى الحال الماضي، ثم ذكر الشيخ القاري رأي العلامة ابن حجر – قدس الله سره – أي (أدمتِ على أنّك تظنّين) بالإضافة فعل الدوام بعد همزة الاستفهام مع حذف الفعل الناقص (كنت)، ثم يقول المصنف القاري: فلا وجه لهذا الرأي؛ لأن الفعل الناقص أي (الكون) هنا ما ورد لإفادة الاستمرار والدوام، بل جاءت لوقوع الخوف في الفعل الماضي أو لمجرد الربط في الكلام. وكذلك قول الرسول الصادق - عليه الصلوات والتسليمات -:"**أسرف رجل على نفسه فلمّا حضره الموت أوصى بنيه إذا مات فحرّقوه"**[51]. أصل التعبير بالفعل الماضي بالجملة الاسمية أي (إذا أنا متُّ فحرّقوني)، ولكن وعدل المتكلم عن صيغة التكلم إلى صيغة الغَيبة لغرض الإعلام والإيماء إلى عدم الاعتناء به، ففي كل التوجيه يكون الالتفات عن ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب لغرض التحاشي عن وصمة نسبة التحريف ولإزالة توهم التشكك في قدرة الله تبارك وتعالى إلى نفسه من وجه[52].

2. الالتفات عن (الخطاب) إلى (الغيبة)

ونجد في الالتفات النبوي الأساليب الرائعة بأن يؤظف مثل هذا الانتقال في سياق لطيف يحمل معاني قدسية في التعبير عن مقام رب العزة، فيقول:"**اللهم إني أعُوْذ بعزّتك لا إله إلا أنتَ أن تُضلّني أنت الحي الذي لا يموت**"[53]. بداية الخطاب لرب العزة بالاستعاذة بعزته تملأ جو النص بقدسية الحضور الإلهي على مستوى الخطاب في مقام الالتجاء يقتضي القرب من المعيذ فضلاً عن مدلول القسم الدال على التقوى وطلب العز، ثم يتحول السياق فجأة إلى الغيبة

---

[49] Its mean: unfairness by giving to those who do not deserve or by denying those who deserve it.
[50] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Vol.3, P. 968.
[51] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No., Vol.4, P.1641.
[52] Al Ṭeebi, Al Kāāshif, Vol.6, P. 1862.
[53] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 2463, Vol.4, P. 1707.

(الذي) في مقام التوحيد (لا إله إلا أنت) الذي يقتضي المقام العالي ورفعة شأن المعبود على العابد. ثم يختم من جديد بالخطاب فهو (أنت) رجوع إلى السياق الأول، كأنه تأكيد على التقريب من جديد، فهو ابتداء بالخطاب على مستوى الحضور، ثم خرج إلى الغيبة، ثم رجوع إلى الخطاب، إلى مستوى الحضور من جديد إلحاحاً على معنى التقرب منه، وكذلك هذا التفات بلفظ (الذي لا يموت) والسياق يقتضي (لا تموت) بلفظ الخطاب، فهو مثل الأوّل في غيبة مضمنة بنفي الموت عن الله في تعظيم صفة أخرى من صفات الخالق، وهي نفي صفة الموت عنه التي لا تعرض إلا للمخلوق.

في بعض الأحيان يكون العدول عن الخطاب إلى الغيبة للحث على إظهار الرأفة، كما في قول النبي الصادق – عليه التحية والتسليم -:"**ادرءُوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مَخْرَج فخلّوا سبيله، فإن الإمام أن يُطِئفي العفو خير من أن يُخطِئَ في العقوبة**"[54]. في النص المبارك قوله (فإن الإمام) قد أقيم الإظهار على مقام الإضمار وهو سبيل الالتفات من صيغة التخطاب إلى لفظة الغيبة للحث على بيان المودة والرأفة، يقول المولف الهروي: ومن الظاهر أن تقدير الكلام: (فإن الإمام يكون منكم أو إمامكم) إيماء إلى التخاطب.

أحياناً يكون الالتفات في باب التجريد كما في رواية أم المؤمنين السيدة عائشة -رضي الله تبارك عنها- كما قالت إذا استخلف سيدنا أبو بكر (رضي الله تعالى عنه) قال:"**لقد علم قومي أنّ حِرْفتي لمْ تكن تَعْجِز عن مَئوْنة**[55] **أهلي، وشُغِلْتُ بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال، ويحترف للمسلمين فيه**"[56]. في القول الشريف (يحترف للمسلمين)، والمعنى: يكتسب بالتصرف في أموال المسلمين. قصد بنسق الكلام البديع في قوله (أن يحترف) يكون مسنداً إلى الضمير الرجع إلى اسم (أبي بكر)، ومعطوفاً على الفعل قبله (فسيأكل) بصيغة الغائب للتذكير، فإذا أسند هذا إلى الأهل تنافر وانخرم السياق والنظم، فلا بدّ في الانتقال من التكلم إلى الغيبة من فائدة جمة، وهو آل سيدنا أبي بكر من باب التجريد[57]، جرّد من نفسه الشخص الذي يكون متصفاً بأوصاف الصحابي الجليل أبي بكر (رضي الله عنه) بكونه كسوباً محصِّلاً لمئونة أهله بالتجارة، ثم قام بكفالة بهذا الواجب العظيم من تولي الأمور للمسلمينمن مشاكلهم، وامتنع نفسه كل الوقت من الاكتساب الذاتي لمئونة الأهل وغيره، والأمر في الحقيقة هو وهو، وفيه إشعار بالعلية والسببية، وإنّ من يتصف بتلك الصفة العظيمة حقيق بأن يأكل هو وأفراد أهله من بيت المال؛ لكي يخدم المسلمين في الوقت كله.

3. الالتفات عن (الغيبة) إلى (الخطاب)

ومن أساليب الالتفات البلاغية الرائعة التفات عن غيبة إلى صيغة الأمر، كما في رواية البراء رضي الله عنه قال: كان الرسول الأعظم - عليه التحيات والتسليمات – في يوم الخندق حين كان ينقل تراب الأرض حتى اغبر بطنه يقول:"**واللهِ لولا اللهُ ما اهتدَيْنا، ولا تصدّقْنا ولا صلَّيْنا، فأنْزِلَنْ سكينةً علينا**"[58]. يقول الإمام الطيبي: قوله: (فأنزلن) أمر من الإنزال (بالنون الخفيفة) خطاب على طريقة الالتفات[59]. وهو أحسن مثال لقرب من الله سبحانه وتعالى؛ لأن خير البرية يبدأ في تلك اللحظة كلامه الذي يلفه بجو من الغيبة، ولكن المخاطَب يتفاجأ بتحول إلى السياق (فأنزلن) من عالم الغيبة إلى عالم الخطاب استحضاراً لعناية الذات الإلهية التي لا يطلب إلا منها السكينة والوقار، والطلب من المخاطب الحاضر يكون أيسر للتلبية وأرعى لقلب السامع؛ لذا يدوم السياق في جو الخطاب، ثم يتواحد الالتفات (فأنزلن) بدلالته الممتلئة بالرجاء بظلال خفة التأكيد فيه من النون الخفيفة مع العدول الآخر من جهة أخرى أنهما طلبان بمعنى الدعاء،

---

[54] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 3570, Vol.6, P. 2344.
[55] Its mean "نفقة عيالي".
[56] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No., 3747, Vol.6, p. 2434.
[57] "التجريد" (Abstraction) is linguistically: removing one thing from another, it is absolutely extracting one thing from another, for the purpose of sophistication in style, such as paying attention to their closeness.
Visit: Al Ḥāshmī, Ahmad bin Ibrāḥeem, Jawāḥir Ul Balāghaḥ, and Publisher: Al Maktabaḥ Al Unṣariaḥ – Beīrūt, P. 298.
[58] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 4792, Vol.7, P. 3016.
[59] Al Teebī, Al Kāāshif, Vol.10, P. 3102.

والمخاطب واحد، وليس حال مثل هذا الطلب من الغائب، ثم ينكسر هذا السياق من (الغيبة) بحضور لهذه الذات العلى إلى مخاطب لتناسب سياق الدعاء التي تستدعي حضور المدعو إشعار بتمام قربه وزيادة اطئمنانه للداعي، فالعلى لا ينزل السكينة إلا لعطف بالداعي ولطف به مناسبة لمقام (الوقار والطمأنينة).

وقد يكون العدول من أسلوب الغيبة إلى أسلوب الخطاب للإشارة إلى غضب شديد متتابع، كما جاء في رواية سيدنا أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – عن النبي الأعظم – عليه الصلاة والسلام – قال:"**لينْتهينَّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فَحْمٌ من جهنم أو ليكونَنَّ أهْوَنَ على الله من الجُعَلِ**[60] **الذي يُدَهْدِه الخِراءَ بأنفه، إن اللهَ قد أذهبَ عنكم عُبِيَّة**[61] **الجاهلية وفخرَها بالآباء**"[62]. في الحديث المبارك قوله (لينتهينّ) هذا ورد من باب (سَوْق المعلوم على مساق العكس)؛ هم في الحقيقة قوم مخصوصون من حبث الأوصاف القبلية، ولكن نكّرهم كأنهم لا يعلمهم أحد، وجعلهم من الغائبين، ثم جاء التفات من أسلوب الغيبة إلى أسلوب الخطاب في قوله (قد أذْهب عنْكم)، هذا للإيماء إلى سخط شديد متتابع.

وكذلك أحياناً يكون الالتفات من الغيبة إلى الالتفات للاهتمام به والتعميم في المعنى، كما جاءت رواية عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه بأنه هو سأل رسول الكريم – صلى الله عليه وسلم - ما حق الزوجة على أحدنا؟ فقال (عليه الصلاة والسلام):" **أنْ تُطعمَها إذا طَعِمْتَ وتكْسُوَها إذا اكْتَسيتَ** "[63]. عند الإمام القاري هنا العدول من غيبة إلى خطاب اهتماما بتقرير ما أراد من الكسوة والإطعام، وكان القياس أن يكون التعبير: أن يكسوها إذا اكتسى، ويطعمها إذا طعم، وما أتى هذا الخطاب هنا إلا لإثبات الحكم لكل زوج، فالمعنى: يجب عليكم إطعام الزوجة وكسوتها عند قدرتكم عليهما لنفسكم.

4. الالتفات عن (الغيبة) إلى (التكلم)

تحدث الشيخ القاري عن شروط الالتفات من الغيبة إلى التكلم، مفسرا الحديث الآتي:"**انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر وغنيمة أو أُدْخِله الجنة**"[64]. قوله (إيمان بي وتصديق برسلي)، في الأصل هو (إيمان به وتصديق برسله)؛ فهو التفات عن ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم، كما أشار إليه الطيبي بقوله: والأشبه أن يكون التفاتاً؛ إذ قيل قوله في النص المذكور (إلا إيمان بي) كان جارياً ومحمولا على الإظهار وليس مفتقرا إلى الإضمار فعدل من المظهر إلى المضمر نظرا إلى التفخيم من شأن المخرج ومزيداً للاختصاص والاهتمام يه وبيان قربه معه. عند المؤلف القاري وهو خطأ؛ لأنّ من شروط الالتفات أن تكون الجملتان من متكلم واحد، والأمر هنا مختلف، لأن الجملة الأولى في النص أي (انتدب الله) من كلام نبينا الصادق عليه الصلاة والسلام، والجملة الثانية فيه أي (لا يخرجه إلا إيمان بي) من كلام الله سبحانه وتعالى، فلا يصحّ أن يكون هذا من قسبيل الالتفات؛ لأن الجملتين ليستا من متكلم واحد، فالأمر لا يعدو أن يكون إخبار عن فعل الانتداب من غائب وهو الله فلا بد أن يكون بصيغة الغيبة في الشطر الأول من الحديث الشريف، أما الشطر الثاني منه، فهو حكاية لكلام الله سبحانه وتعالى بصيغة التكلم، لذا يقول القاري: والأظهر أنه نقل كلامه تعالى أولاً بالمعنى (في الجملة الأولى) ثم عاد إلى نقل النظم وحديثه؛ فكأنه قال (انتدب الله)[65].

---

60 Ā black worm that means excrement, it is called: al khunfusa" in Arabic.

61 An act or instance of flaunting.

62 Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 4899, Vol.7, P. 3074.

63 Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 3259, Vol.5, P. 2126.

64 Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 3789, Vol.6, P. 2455.

65 Visit: Al Ṭeebi, Al Kāāshif, Vol.8, P. 2665.

وكذلك للعدول من الغيبة إلى التكلم سر بلاغي، كما في الحديث الشريف:" **والذي نفس محمد بيده**[66]، **لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسِلت به إلا كان من أصحاب النار**"[67]. في النص المذكور قوله (والذي نفس محمد بيده) أسلوب الغيبة يقصد به سيد العرب والعجم عليه -الصلوات والتسليمات- ذاته المباركة وأوصافه الصفية كلها، ويريد بالكلمة (بيده) قدرة الله سبحانه وتعالى وتصرفه فيه. هذا هو الذي ما جاء به الإمام الطيبي بأن رسولنا الأمين يؤمي إلى أن إرادته وتصرفه مغموران في إرادة الله سبحانه وتعالى وتصرفه، وهو في علم البيان من قبيل أسلوب التجريد[68]. وكان أصل النص (والذي نفسي محمد بيد الله وقدرته)، لكن رسول الله الكريم قد جرّد من نفسه النفسية المباركة الذكية من اسمه محمد المبارك بأنه هو. هذا الأسلوب يُعد من الأساليب المرموقة في الالتفات من الغيبة إلى التكلم، كما يقول الشيخ القاري أخذ هذا الأسلوب ليكون هذا أوقع في النفس وأبلغ في المعنى، وكذلك الالتفات من غيبة إلى صيغة التكلم تنزيلاً من الكون مع الله سبحانه وتعالى إلى الاشتغال بالدعوة إلى الحق المحكم، والانتقال من الخزنات الكمالية إلى المَنصّة التكميلية.

5. الالتفات عن (الإضمار) إلى (الإظهار)

وقد يكون الالتفات بوضع الإضمار موضع الإظهار والعكس لغرض بلاغي، كما في قول أفصح العرب والعجم – عليه الصلاة والتسليم -:"**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء**"[69]. في الحديث الشريف سياق يحكي قبضة العلم من عباد الله تعالى، وبخاصة أنه تعالى يقبض مع قبض متعلقاته من المجتمع وهم العلماء. والتقدير(ولكن يقبضه) بدل (ولكن يقبض العلم) ليتوافق مع نزعة العرب إلى الإيجاز والاقتصار البلاغي، موافق لأصل التعبير، عامل إلى إرجاع إلى ما سبقه إلى ما تم تصوره في الذهن من مرجعه وهو (العلم) وما تعنيه للمخاطَب المسلم مبادئه من الهداية والرشد، فيأتي السياق (العلم) موضع الإضمار ليفجأ القارئ بمخالفة كلّ هذا ليعيد ذكره ويظهره دون إضمار ليصير السياق الرائع (ولكن يقبض العلم) لينشيء هذا التضاد بين الإضمار والإظهار (يقبضه) وهو مقتضى الظاهر. وكذلك في رواية عن بداية الحساب في يوم الدين، بأن الناس يأتون إلى الرسول الأعظم - عليه التحيات والتسليمات- بأن يقدم الطلب لبداية الحساب بعد أن يعجزوا عن كل من الأنبياء: **فيأتون محمداً - صلى الله عليه وسلم -، فيقوم فيؤذن له**"[70]. يقول الشيخ القاري: في الحديث الشريف وُضع اسم الظاهر (محمداً) موضع ضمير الياء للمتكلم (فيأتوني) على سبيل الالتفات؛ لأن هذا الكلام قد وقع في غاية موقعه، فإنه يدل على أنهم يأتون كريماً ينجحون من حضرته مقصودهم، وعظيماً يظفر به غرضهم، ومن هو في غاية المنزلة والقربة، ولا نجد هذا المعنى إلا مع ما في مفهوم هذا الاسم المبارك باعتبار أصل الوضع من كونه محمداً في الباطن والظاهر، وقائماً في مقام المحمود في ميدان يوم الدين، ولا شك فيه أن هذا المعنى لا يحصل إلا على سبيل الالتفات بأن يوضع المظهر موضع المضمر. ومن الممكن أن يكون هذا مبنياً على طريق التجريد، ولكن قول الالتفات أرجح عند المحدّثين[71]. وكذلك جاء الالتفات بوضع الإظهار موضع الإضمار، كما في قول النبي الرحيم – عليه الصلوة والسلام-:" **من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار**"[72]. اتفق الشيخ القاري برأي الإمام الطيبي بأن: وضع (الجنة والنار) مظهراً في الجملتين: اللهم أدخله الجنة، واللهم أجره من النار، موضع الضمير: اللهم أدخله فيها، واللهم أجره منه، من باب الالتفات، أو قبيل تجريد[73]، للإشارة إلى الاهتمام به.

---

[66] Its mean "ذاته وصفاته، إراداته، أعماله، حالاته، حركاته وسكناته".
[67] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 10, Vol. 1, P.447.
[68] Al Ṭeebi, Al Kāāshif, Vol.2, P. 447.
[69] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 206. Vol.1, P.290.
[70] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 5609, Vol.8, P. 3573.
[71] Visit: Al Diḥlavī, Lamāāt Ul Tanqeeh, Vol.9, P.100.
[72] Al Qārī, Mirqāāt Ul Mafāteeh, Hadith No. 2478, Vol.4, P. 1716.
[73] Visit: Al Ṭeebi, Al Kāāshif, Vol.6, P. 1921.

نتائج البحث:

بعد رحلة وجيزة بدراسة الموضوع المتواضع وصل البحث إلى نتائج تالية:

1. استخدم رسولنا الكريم – عليه التحية والتسليم – في حديثه البليغ الذي يقتضيه الوعي الأسلوبي عند العرب؛ لأن غرضه – صلى الله عليه وسلم - أن يدعو الناس كلهم إلى الخير كله، فكثرت المعاني التداولية في كلامه البليغ باستخدامه الأساليب المرموقة كالعدول في الأفعال، والإظهار موضع الإضمار والعكس، التي كانت بحسب ما يقتضيه المقام والمخاطَب، وتنوّع مشارب المخاطَبين وطبيعتهم وأحوالهم، واعتمد نبينا الكريم عليه الصلوات والتسليمات في تخاطبه الوعي البلاغي حتى يكون خطابه أكثر تأثيراً على السامع.
2. ولا شك فيه أن أساليب الالتفات التي اشتمل عليها الكلام النبوي وهي مكونة من نقاء اللفظ سهلة المفهوم؛ لأنه – صلى الله عليه وسلم - يمتلك ناصية الأساليب البلاغية، فكان يلقى كلاماً بليغاً بأساليب مؤثرة جداً، فيتجه السامع مباشرة نحو المراد طائعاً ومستسلماً قناعة تامة بالحِكَم لا عن قناعة عمياء، بثقته الكبرى بالرسول الصادق الأمين -عليه الصلوت والتسليمات-؛ لأنه هو كان ينطق عن الهوى إلا بوحي يوحى.
3. والظاهر أن الالتفات النبوي يتمثل أسلوباً بلاغياً جلياً على طوال التعبير النبوي، فإنه يشتمل على الأداة الفعّالة لإيصال المعاني العظيمة إلى القاري/السامع. وقد أخذ الالتفات الفعلي مساحة واسعة لتكون معظم دلالاته البلاغية حول غرضَي: الترغيب والترهيب؛ لطبيعة الرسالة النبوية القائمة على ترغيب السامع/القارئ في طلب الجنة والقرب منها، والترهيب من النار وما يقرب إليها.
4. كل الأساليب البلاغية التي درسناها في الالتفات النبوي في هذا المقال، وهي من أقوى الأساليب البلاغية وأجملها، وكل ظاهرة من ظواهرها البلاغية تحتاج إلى دراسة مستقلة؛ لأن لها أهمية كبرى لتخليق الجمال في نظم الكلام والمعنى مطابقاً لمقتضى الحال بأروع الأساليب. وكذلك هناك حاجة ماسة إلى إبراز الجوانب الجمالية للبلاغة النبوية في العصر الحاضر؛ لأنها بديهة من البديهات وحقيقة من الحقائق الثابتة. وهي تستطيع تواجه عواصف العولمة والإلحاد؛ وذلك لإنقاذ الأجيال الناشئة من الرذائل المادية والإباحية إلى التخلّق بالأخلاق النبوية.

This work is licensed under an Attribution-ShareAlike 4.0 International (CC BY-SA 4.0)